



المفاوضات مع غطفان لكسر الحصار عن المسلمين:

لما اشتد على المسلمين البلاء جراء الحصار المفروض عليهم من الأحزاب، بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى عبيدة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائداً غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعاً بمن معهما عنه وعن أصحابه، وكتبوا في ذلك كتاباً، وأرسل الرسول لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة ليستشيرهما.

فقالا: يا رسول الله ألم تُحب فنصنعه؟ ألم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به، ألم شيئاً تصنعه لنا؟

قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدةٍ، وكالبوكم من كل جانبٍ فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما.

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرئ أو بيعاً، أحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؛ والله ما لنا بهذا حاجة، والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

في هذه المفاوضات التي جرت بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وغطفان نستخلص عدة دروسٍ في فقه المواجهات:

الأول: المواجهة بين أصناف الأعداء لاختيار الحلقة الأضعف ليتم اختراق صفوفهم من خلالها، وهذا ما فعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فهو لم يعرض المفاوضات على قريش ولا على اليهود لأنهم هم أساس الصراع، وال Herb معهم حرب عقيدة ومبدأ ونزاع سياسي حاد، وإنما عرض المفاوضات على غطفان لأنّه يعلم -صلى الله عليه وسلم- أنها وقادتها ليس لهم من وراء الاشتراك في هذا الغزو أي هدف سياسي يريدون تحقيقه، أو باعثٍ عقائديٍ يقاتلون تحت رايته، وإنما كان هدفهم الأول والأخير من الاشتراك في هذا الغزو الكبير هو الحصول على المال بالاستيلاء عليه من خيرات المدينة عند احتلالها؛ ولهذا لم يحاول الرسول -صلى الله عليه وسلم- الاتصال بقيادة الأحزاب من اليهود أو قادة قريش كأبي سفيان

بن حرب، لأن هدف أولئك الرئيسي، لم يكن المال، وإنما كان هدفهم هدفاً سياسياً وعائدياً يتوقف تحقيقه والوصول إليه على هدم الكيان الإسلامي من الأساس؛ لذا فقد كان اتصاله (فقط) بقيادة غطفان، الذين (فعلاً) لم يترددوا في قبول العرض الذي عرضه عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم -.

الثانية: يتمثل في عرض الرسول ثلث ثمار المدينة على غطفان مقابل أن تسحب جيوشها، وترجع إلى بلادها، وتخذل بين الأحزاب المتحالف ضد المسلمين.

إن دفع المال للعدو مفسدة تلحق بال المسلمين وهي مصلحة للعدو يتقوى بها عليهم، ولكنه إن حق مصلحة كبرى أو أزاح عن المسلمين مفسدة كبرى كان لا بد منه، وهذا ما ارتأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رأى أن دفع ثلث ثمار المدينة لغطفان سيؤدي إلى مصلحة كبيرة تمثل في فك حصارهم عن المدينة، وتخذيلهم للأحزاب المتحالف، خاصة وأنه ليس باستطاعة المسلمين التصدي لهذه الأحزاب مجتمعة، وقد طال أمد الحصار، وقد تجلى هذا المقصد في قوله عليه الصلاة والسلام لقائدي غطفان : «أرأيت إن جعلت لكم ثلث ثمار المدينة ترجعان بمن معكم وتخلدان بين الأعراب؟» .

وفي قوله لسعد بن معاذ: **«والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة، وكالبوكم من كل جانبٍ فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما»**.

وفي فعل الرسول عليه الصلاة والسلام إرشاد المسلمين إلى عدة أمور منها:

* أن يحاول المسلمون التفتیش عن ثغرات القوى المعادية.

* أن يكون الهدف الإستراتيجي للقيادة المسلمة تحديد من تستطيع تحبيده، ولا تنسي القيادة الفتوى والشورى والمصلحة الآنية والمستقبلية للإسلام.

ولكن الأمر لم يتم لأن السعدين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رفضاً هذا الاتفاق بعدما علموا أنه ليس بالوحى، وإنما هو من باب السياسة وكسر شوكة العدو، وهو مجالٌ رحبٌ للاجتهاد واختلاف الآراء، وهو كذلك مجال الاختلاف في تحديد المصالح والمفاسد والترجيح بينها.

فالسعدين رضي الله عنهم رأياً أن لدى المسلمين من الهمة والروح المعنوية العالية ما تؤهلهم للاستمرار في الثبات في مواقفهم حتى تنكسر عزيمة المشركين أمام عزيمتهم، من غير أن يدفعوا شيئاً لهؤلاء الكفراً يتقوون به على المسلمين أو يذلوهم من خلاله، لذلك كان جواب سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وبعبادة الأولان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قريءاً أو بيعاً، أحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؛ والله ما لنا بهذا حاجة، والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

وقد أقره النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك، وكانت نتيجة المعركة كما هو معلوم ان دحر الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال.

الخلاصة:

مواجهة التحدى الأصعب مع تماسك وحدة الجماعة وإجتماع الكلمة، خير من مواجهة التحدى الأسهل مع تفرق وحدة الجماعة واختلاف الكلمة.

المصادر: